

# الفصل الأول

## مدخل الدراسة

- تمهيد.
- مشكلة الدراسة .
- أهمية الدراسة وأهدافها .
- مصطلحات الدراسة.
- المنهج و الإجراءات .

## تمهيد :

نظراً لقدم التعامل مع الأفكار الاجتماعية وحادثة الجهود النفسية المبذولة لدراسة السلوك الاجتماعي الإيجابي بشكل عام والتسامح بشكل خاص فسيعرض الباحث لجانبين أساسيين في مدخل هذه الدراسة وهما على النحو التالي :-

( أ ) الاهتمام بالأفكار الاجتماعية الإيجابية من منظور تاريخي.

( ب ) الجهود التي تمت من وجهة النظر النفسية لدراساتها.

### ( أ ) الاهتمام بالأفكار الاجتماعية الإيجابية من منظور تاريخي.

اهتم الفلاسفة منذ ما قبل أرسطو بهذه السلوكيات الاجتماعية الإيجابية ، ويتضح ذلك من خلال ما قدمه المصريون القدماء من قواعد أخلاقية، ونقشوا على قبور موتاهم وصاياهم بالخير للآخرين. ، ثم درسها "أرسطو Aristotle" في ثنايا كتابه " الأخلاق لنيقوماخوس "، كما درسها العديد من الفلاسفة الذين اهتموا بمدلولها النفعي في المدارس الفلسفية اليونانية القديمة أمثال البرقاويين أتباع "أرستوبوس Arestobus" ( ٤٣٥ ق.م. — ٣٥٦ ق.م. ) حيث يذكر أن كل الخير يخضع للذة والمتعة ، وكذلك الأبيقوريون أتباع "أبيقورس Abiecorus" ( ٣٤٢ ق.م. — ٢٧٠ ق.م. )، كذلك النفعيون الجدد أمثال "توماس هوبز T.Hobs" ، "وجون لوك J.Lock" ، "وجرمي بنتام J.Bentham" ، "وجون ستيوارت مل J.S. Mill" . ويناصر أتباع المذهب النفعي المذهب الأكثر غيرية وإنسانية، حيث كانوا يرغبون في تحقيق السعادة أو المتعة للمجتمع وليس لأنفسهم فحسب. ( بورتون، ١٩٩٣، ص. ١١٩ — ١٥٠ بتصرف )

كما يتضح هذا الاهتمام بهذه السلوكيات لدى "كانت E.Kant" في كتاباته مثل "تأسيس ميثافيزيقا الأخلاق" . "ونظرة إلى التاريخ العام بالمعنى العالمي" والذي يقر فيه بوجود استعدادات اجتماعية لدى البشر ولكنه يركز على الاستعدادات غير الاجتماعية ( عماد عبد السلام رؤوف، ١٩٨٦، ص. ٧٣ ).

وفي الفكر الاسلامي تم التركيز على الأفعال التي تزيد من تماسك المجتمع في التراث والحكم والمأثورات العربية التي تعبر عن أخلاقيات الدين أمثال " أدب الدنيا والدين " للماوردي" الذي قسم أفعال المعروف كأحد أسباب المحبة والألفة بين الناس ؛ و"الأدب في الدين" المنسوب للإمام "الغزالي" ؛ و "رياض الصالحين" للإمام "النووي" ، وتم التركيز فيها على آداب اصطناع المعروف وشروطه وما يساند ذلك من أحاديث نبوية، وآيات قرآنية كريمة، هذا فضلاً عن ما ذكره أبو حيان

التوحيدى فى رسالته عن الصداقة والصديق، وما ذكره "إخوان الصفا وخلق الوفا" فى مأثورا تم عن الصداقة والخلق التى وردت فى رسائلهم. (الموردى، ١٩٨١؛ الغزالي، ١٩٩٦؛ التوحيدى، ١٩٩٧؛ النوى، ١٩٧٥). بالإضافة إلى المحاولات التى قام بها الفقهاء المهتمين بأصول الفقه وخاصة الفكر المقاصدى منهم مثل الإمام الشاطبى (١٩٧٥)، والطاهر بن عاشور (١٩٤٧) وغيرهما، من أجل تأصيل مفهوم السماح فى إطار الشريعة الإسلامية.

### (ب) الجهود التى تمت من وجهة النظر النفسية لدراسة السلوك الاجتماعى الإيجابى بشكل عام والتسامح بشكل خاص

اهتم العلماء بالسلوكيات الاجتماعية ضمن اهتمامهم بدراسة الاستجابات الاجتماعية فى ارتقاء الأطفال فى السنوات الخمس الأولى من العمر مثل دراسات إيمز Aims، ١٩٥٢، ١٩٤٦، دراسات جيزل وإلج A. Gesell & Elg، ١٩٤٦، وخاصة دراسة "ميرفى" Murphy وآخرون ١٩٣٧، وجان بياجيه Piaget ١٩٣٢ والذى ذكر فيها مفهوم التمرکز فى الذات Egocentrism \* لأول مرة واللافت فى هذه الدراسات وجود ارتباط إيجابى بين الصداقة والشجار فى دراسة مورفى ١٩٣٧. (سويف، ١٩٧٠، ص ص ١٨٨-٢٢٦). وقد بدأت بجهود فرويد فى دراسته عن الحضارة، وكذلك فى المجتمع العلاجى وظهور حالات الإيثار المرضى Pathological Altruism. (Yarrow et al. 1983, p. 471)

ويعتبر مفهوم التسامح من المفاهيم المحيرة، نظراً لتعدد أشكاله دينياً، و سياسياً، و فكرياً. ويلعب دوراً أساسياً فى التعامل مع الآخرين. وهو ضمن السلوكيات الإيجابية التى تنبى العلماء للنظر له بصورة إيجابية لأنه إذا سادت اتجاهات التسامح، والمودة والتعاون بين أعضاء الجماعات فى مجتمعات معينة، من دون تمييز ولا تفضيل، فسنجد الاستقرار النفسى والاجتماعى هو السمة المميزة لهذه المجتمعات مما ينعكس فى نهاية الأمر إيجابياً على الصحة النفسية لأبنائها. والتسامح فى جوهره تحمل الاختلاف مع الآخر. مما يمثله من عبء يقابله الفرد عند تعامله مع المختلف عنه ومع التنوعات المحيطة بسلوكه. والنظرة الإيجابية للتسامح تنبع من كونه أحد أبعاد السلوك الاجتماعى، فالجانب الإيجابى الذى تنبىه الدراسة الحالية يتخطى جانب ما وراء التحمل أى إلى ما وراء الإطاعة أو المقاومة، أى إلى التسامح بمعنى التعامل الودى الإيجابى العام مع المختلفين ومع التنوعات Diversity الشديدة فى كل ما يتصل بالمرء بل وإمكانية الدفاع عن حقوق هؤلاء المختلفين مما يحقق القبول والغفران. وبما يحقق له

\* يترجم أ.د. مصطفى سويف هذا المصطلح بالتمرکز فى الذات (انظر مصطفى سويف، ١٩٧٠، ص. ٣٩٨) فى حين ترجمه كل من أ.د. محمد عماد الدين إسماعيل، وأ.د. علاء الدين كفاى بالتمرکز حول الذات (انظر كل من: ع. إسماعيل، ١٩٨٦، ص. ٢٢٦ ومابعدها. ، وكذلك، ع. أ. كفاى، ١٩٩٧، ص. ٢٤٢).

الصحة النفسية كمطلب أساسي وحيوي للإنسان الذي يعيش وسط كم من المتناقضات ويقع عليه عبء تحملها وتقبلها.

ويدرس التسامح باعتباره أحد مكونات السلوك الاجتماعي الإيجابي Prosocial Behavior وهو قدرة الفرد على تحمل الآخرين والتعامل معهم بود وأريحية وإجزال العطاء لهم ، ويعد في هذا النطاق سلوكاً إيجابياً مثله في ذلك مثل المشاركة، والمساعدة، والإيثار قد تم تحديد الجوانب الإيجابية التي تربط التسامح بالسلوك الاجتماعي الإيجابي في الثقافة العربية المصرية في دراسة سابقة للباحث، كشف فيها عن ارتباط عال بين مكون التسامح وباقي مكونات السلوك الاجتماعي الإيجابي المتمثلة في أبعاد أو مكونات: المشاركة، والمساعدة، والإيثار (شحاته زيان، ٢٠٠١) بالإضافة إلى إعتباره منتج من منتجات النمو الأخلاقي باستخدام نماذج لكل من لورانس كولبرج ، وجيمس رست، وبرايك (Guthrie, V., 1997)

ومراجعة التراث النفسي العربي والعالمي للتسامح نجد العديد من القضايا التي تثار حول هذا المفهوم، وأحد هذه القضايا هي: هل مفهوم التسامح له جذور في التراث العربي الإسلامي؟ وهذا الأمر في غاية الأهمية نظراً لأن التسامح لب الأديان، ولهذا سيقوم الباحث بعرض إشكالية وجود التسامح في التراث العربي الإسلامي وما ترتبط بها من قضايا، والاتجاهات الفكرية التي تناولته.

والتسامح كأحد متغيرات السلوك الاجتماعي الإيجابي جاءت دراسته من قبل الأديان من باب الغفران والصفح ولم تهتم الدراسات النفسية به إلا حديثاً. ويمكن ذكر بعض إسهامات النظريات المعرفية الارتقائية في دراسة هذا السلوك:

#### ◆ النظريات المعرفية الارتقائية (بالدوين، و بياجيه):

ميز "بالدوين" Baldwin ١٨٩٧ بين عدة مراحل ارتقائية متعاقبة في فهم الأطفال للآخرين. ورأى "جورج هربرت ميد" Mead ١٩٣٤ أن فهم الذات والآخر يرتقى في تفاعل يتضمن تواصلًا رمزياً حيث على المرسل لرسالة ما أن يأخذ دور المستقبل لهذه الرسالة . وقبل "جان بياجيه" Piaget ما قال به بالدوين من أن الوعي بالذات ينشأ عن العلاقة بالذوات الأخرى ، ثم قدم مفهوم التمرکز في الذات . وقد تأثر "كولبرج" Kohlberg بأراء كل من "هربرت ميد"، و"جان بياجيه" وطور نسقا ارتقائياً للاستدلال الأخلاقي. وقد لاحظ "ميوسن وأيزنبرج" Mussen & Eisenberg ١٩٧٧، اهتمام كل من "بياجيه" و"كولبرج" بالاستدلال الأخلاقي المتعلق بالقوانين ، القواعد ، السلطة ، المسؤولية ، العدالة ، والعدل . (Yarrow, et al. 1983, p. 472)

#### أهمية الدراسة :-

بالنظر لما يكتنف دراسة سلوك التسامح من صعوبات على المستوى العالمي، والإسلامي بعيداً عن البعد الديني الذي يعد أبرز وجوه دراسة التسامح على المستوى العربي حيث ارتبط أساساً بسماحة

الإسلام مع أصحاب الديانات الأخرى وأهمية أن التعامل بحسن مع المختلفين دينياً ومحاولة العمل على عرض صورة دينية إيجابية عن الفرد المسلم في تعامله مع المختلفين في العقيدة (يوسف القرضاوى، ١٩٧٧؛ محمد الغزالي، د.ت.، السيد المخزنجي، ٢٠٠٢؛ محمود حمدي زقزوق، ٢٠٠٤)، وندرة دراساته النفسية والاجتماعية والثقافية في المحيط العربي، إذ أن دراسات التسامح في مجال علم النفس — كما وجد الباحث — محدودة بشكل كبير مما يدعو لحث الباحثين على العمل على تناوله ودراسته من مختلف الزوايا، هذا بالإضافة إلى ما أحدثه الخلط بين المعنى الطبي الفزيولوجي والمعنى النفسي والاجتماعي — لارتباط المعنى الطبي بالتعامل مع العقاقير ومقدار تحمل الجسم لخصائص دواء أو عقار معين — من تحوف كبير في تناول المفهوم، فضلاً عن ارتباط هذه الدراسات بدراسات تعاطي المواد النفسية بشكل خاص مما يزيد الأمر خلطاً.

### أهداف الدراسة:

تتمثل أهداف الدراسة الحالية في: —

- ١) الكشف عن العلاقات المتنوعة بين التسامح والسمات النفسية الشخصية المختلفة والوقوف على أشكال التغير الارتقائي في هذه العلاقات من حيث الكيف والكم وذلك في المسار الارتقائي من مرحلة المراهقة الوسطى حتى بدايات الرشد.
- ٢) الكشف عن صور التغير الارتقائي في مكونات التسامح لدى كل من الذكور والإناث في عينة الدراسة.
- ٣) الكشف عما يتطور كل مكون أساسي للتسامح من تذبذبات خلال المسار الارتقائي من مرحلة المراهقة الوسطى حتى بدايات الرشد.
- ٤) الكشف عن مدى ارتباط التسامح بكل من التفهم، و الحالة المزاجية.

### مشكلة الدراسة:

تحدد مشكلة الدراسة الحالية في التساؤلات التالية: —

- ١) ما مظاهر التغير التي تطرأ على المكونات الأساسية للتسامح ومقدار ما تسهم به في تشكيله في المسار الارتقائي من مرحلة المراهقة الوسطى حتى بدايات الرشد؟
- ٢) ما سمات وأبعاد الشخصية المرتبطة بمظاهر التسامح خلال المرحلة المدروسة؟
- ٣) ما مظاهر التغير ( كما ونوعاً ) التي تشكل أهم التمايزات بين الذكور والإناث في المسار الارتقائي من مرحلة المراهقة الوسطى إلى بدايات الرشد؟

من خلال ما سبق يمكن تحديد متغيرات الدراسة فيما يلي:

١. التسامح وهو سمة من سمات الشخصية تتضمن اتجاهاً ليبرالياً متحرراً نحو تحمل ، وتقدير، وقبول، تنوعات الآخرين المختلفين والمتفقيين مع إظهار الود ، والاحترام ، والسماحة الحقيقية وغير المصطنعة لهم وما يؤمنون به من معتقدات، ومع وما يظهرونه من سلوكيات، مع المشاركة في أنشطتهم، وغفران اساءتهم.
٢. سمات وأبعاد الشخصية: وهي في هذه الدراسة تمثل العوامل الخمسة الكبرى للشخصية Big five factors of Personality مجموعة السمات التي يتضمنها الأنساق البعدية العاملية مثل أنساق "كوستا وماكراي"، و"جولديرج"، بما تتضمنه من أبعاد: العصائية بمكوناتها، والانبساط بمكوناته، والطيبة ومكوناته للصرامة واللين، والفكر أو الانفتاح، ويقظة العضمير، ، والسمات لمكونة للاتجاهات الاجتماعية للمحافظة والتحرر.
٣. التفهم: وهو القدرة على إدراك حالات الآخر الوجدانية والمعرفية بحيث يستجيب ويتفاعل معه بشكل متزن.
٤. الحالة المزاجية : وهي الحالات المزاجية والانفعالية التي غالباً ما يكون عليها الفرد أثناء تسامحهم مع الآخرين مثل حالات الضيق والكآبة ، والفرح والبهجة.
٥. دوافع التسامح Motivations of Tolerance، وهي تتراوح بين أخذ الثأر، والتقبل للخلافات والمختلفين، والتعامل معهم.
٦. مرتبات التسامح Tolerance Consequences، وهي النتائج التي تعود Feedback على الفرد في اتجاهي: علاقته بذاته ونفسه؛ و علاقته بالآخرين.
٧. ظروف التسامح والعفو Tolerance and forgiving Circumstances وهي المواقف النوعية التي تحمل العديد من الحالات التي يتعامل فيها الفرد بتسامح، والظروف التي تحيط بسلوكه، والخصائص التي يراها مؤثرة في سلوكه من منظورين: الأول، في حالة قيامه بالإساءة للآخرين، الثاني، في حالة الإساءة إليه من الآخرين.
٨. البيانات الديموجرافية الأساسية ( العمر — النوع — مكان الإقامة ....الخ.

#### المصطلحات المستخدمة في الدراسة:

- سلوك التسامح: Tolerant Behavior وهو أحد أشكال السلوك الاجتماعي الإيجابي Positive Social Behavior.
- التفهم: Empathy.
- دوافع التسامح Motivations of Tolerance

- الحالة المزاجية: Mood.
- مترتبات التسامح Tolerance Consequences
- مؤشرات العوامل الخمسة الكبرى للشخصية Markers of Big five factors of Personality
- ظروف التسامح والعتو Tolerance and forgiving Circumstances
- المنحى الارتقائي في دراسة المتغيرات.

يفترض في سلوك التسامح المدروس في هذه الدراسة، أن تتباين درجاته في ضوء عاملى العمر، والجنس من المراهقة الوسطى حتى البدايات الرشد وهى الفترة الارتقائية التى تحددت للدراسة. وكذلك تتباين درجات المقاييس الفرعية للتسامح، وسمات الشخصية، في ضوء نفس العوامل. بالإضافة إلى توقع وجود فروق دالة إحصائياً بين عينتى الذكور والإناث على متغيرات الدراسة. ويمكن التوصل إلى تبلور نمط عام و" بروفایل" مميز للشخصية المتسامحة.

### منهج الدراسة وإجراءاتها:

تهدف هذه الدراسة لاستطلاع علاقة بعض المتغيرات النفسية (أبعاد الشخصية) بالتسامح على نحو ارتقائي عبر مراحل عمرية تبدأ بمرحلة المراهقة بكل مستوياتها إلى بداية مرحلة الرشد، ومقارنة بين الجنسين عبر المراحل العمرية التى تشملها الدراسة. وتمثلت هذه المتغيرات فى: التسامح بأبعاده الثلاثة (التحمل، و القبول، والصفح أو الغفران)، والفهم، والحالة المزاجية، وظروف ومواقف العفو والتسامح، ومترتبات التسامح، ودوافع التسامح، و مؤشرات العوامل الخمسة الكبرى فى الشخصية. فضلاً عن العوامل الديموجرافية كالنوع والعمر.

### إجراءات الدراسة:

#### أ- العينة المقترحة للدراسة:

سيتم الاستعانة بعدد من طلبة وطالبات المدارس الثانوية العامة، وطلبة وطالبات الجامعة يتوافر فيها شروط المكافأة والمقارنة بعدد (٢١٤) للعينة الاستطلاعية، (٣٣٦) للعينة الأساسية مقسمة بين الذكور والإناث تتراوح أعمارهم بين (١٤ إلى ٢٢ سنة) متفاوتى المستويات الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، والتعليمية. وهى تمثل مراحل الارتقاء التالية: المراهقة الوسطى، والمراهقة المتأخرة، والرشد المبكر.

## الأدوات :-

سيتم الاستعانة بالأدوات التالية لإجراء القياسات اللازمة:-

مقياس التسامح. ( من إعداد الباحث).

مقياس التفهم والحالة المزاجية. ( من إعداد الباحث).

مقياس "لويس جولدبرج" عن مؤشرات العوامل الخمسة الكبرى في الشخصية Markers of Big

Five Factors of Personality المتطور عن مقياس "العوامل الخمسة الدائري اللغوي المختصر

AB5C بعد الإعداد اللازم له في البيئة المصرية بهدف وضع مقياس ذى خصائص لغوية مختصرة

ومباشرة للعوامل الخمسة الكبرى في الشخصية.

سيتم التطبيق بصورة جمعية إلا فيما إذا تطلبت طبيعة الاختبار غير ذلك، وفي كل الأحوال

ستراعى الشروط الواجبة لضبط موقف التطبيق.

## التحليلات الإحصائية:-

سيتم تحليل البيانات باستخدام الأساليب الملائمة بما يمكننا من اختبار فروض الدراسة، وتشمل

على مقياس الترتبة المركزية، ومعاملات الارتباط، مقياس الدلالة الإحصائية، تحليل التباين، التحليل

العاملى بالطرق المناسبة لطبيعة المتغيرات موضع الدراسة.